٥ — من ذكرياتي في بلاد النوبة :

سد أسوان

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

لا يعنيني الحديث عن سد أسوان ، إلا بقدر اتصاله من قريب ، ببلاد النوبة . وإذا كان هذا السد العظيم ، قد لعب دوراً هاماً في حياة القطر الزراعية ، فزاد القدر المنزرع إلى أضعاف أضعافه ، وإنعاش الحياة التجارية ، والاقتصادية ، وزيادة الثروات المصرية إلى حد التضخم في كثير من النواحي ، حتى أصبح هذا السد بحق مفخرة من مفاخر بلادنا المصرية ، له شهرة عالمية طائرة ، وصيت دولي ذائع — إذا كان قد لعب هذا الدور في حياة القطر ، فإنه قد لعب دوراً آخر في حياة بلاد النوبة ، إحدى مناطق قطرنا العزيز ، ولكنه مع الأسف دور عكسي على طول الخط ، وامتداد الطريق . ! !

وبيان ذلك ، أن منطقة النوبة لم تكن تعرف قبل سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وألف شيئاً عن هذا السد ، وإن كانت بعض الأفكار قد اتجهت إلى الانتفاع بهذا الشلال الطبيعي قرب أسوان ، وبخاصة وأن مياه الفيضان تتدفق في موعدها من صيف كل عام ، حاملة الغرين ، والطمي الذي يكسب الأرض خصباً ، والزرع نماء ونضرة ، ويفيض بالخير والبركات في أنحاء البلاد المصرية...

ومما هذا الشعور ، وكبر ذلك الإحساس ، فرئي أن ضياع مياه النيل في البحر الأبيض المتوسط عبث لا طائل تحته ، ولا غاية ترجى منه ، وأن في الإمكان الإفادة من هذه المياه طوال أيام السنة وبخاصة وقد أصبحت البلاد تزرع القطن من أيام محمد علي باشا ، وغيره من المحصولات التي تتطلب ريا دائماً ...

وولدت الفكرة ، فكرة إقامة خزان قرب أسوان ، على الشلال الأول ، وبدأ العاملون يبحثونها سنة أربع وتسعين وثمانمائة وألف ، وكللت بالنجاح ، وتم بناء السد سنة ثنتين وتسعمائة وألف ، بطول قدره خمسون وتسعمائة وألف متر ، وبه ثمانون ومائة فتحة .

والسلب ، فلا تكون من التناقض الذي يلزم فيه صدق إحدى القضيتين وكذب الأخرى ، وإنما كان أن كلا من إبراهيم وامرأته بشر بهذا الغلام ، وقد تكررت هذه القصة في هذه السور ، فذكرت في بعضها بشرى إبراهيم به ، وذكرت في بعضها بشرى امرأته به ، تنويعاً في الأسلوب ، وتصريفاً في القصة ، لمقامات تقتضي ذلك التنويع ، وتستدعي ذلك التصريف

ولاشك أن صاحب هذه الرسالة قد سار فيها على هذا التخبط في الحكم ، لا يفرق بين القصص التي نص القرآن على وقوعها ، وبين الأمثال التي يجوز فيها الوقوع وعدمه ، وهي أمثال لا أساطير وقد ورد كثير منها في القرآن أيضاً ، ولكن صاحب هذه الرسالة لم يرزق قوة التمييز بينها ، فخبط فيها خبط عشواء ، وسقط سقوط من يتناول ما هو فوق طاقته .

لقد ذكر الله تعالى قصة مريم في سورة آل عمران ، ثم قال فيما ذكره منها (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) الآية — ٤٤ — من سورة آل عمران ، وهذا نص قاطع في وقوع هذه القصة ، وذكر قصة نوح في سورة هود ، ثم ختمها بقوله (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) فجعل تلك الأنباء وهي من الغيب من دلائل نبوته ، ولا يصح الاستدلال بها على نبوته إلا إذا كانت صحيحة ، وذكر قصة يوسف في سورة يوسف ، ثم ختمها بقوله (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وهذا نص قاطع في وقوع هذ القصة ، وهكذا غير هذه القصص من قصص الأنبياء ونحوها .

وهناك أمثال يضربها الله تعالى للناس ، كقوله تعالى (ضرب الله مثلا عبداً مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) الآية — ٧٥ — من سورة النحل ، فهذا مثل لا يلزم أن يكون واقعاً ، وكذلك ما أشبهه من أمثال القرآن

وقد أتى صاحب هذه الرسالة فيما فاته من الفرق بين هذين الأسلوبين ، فأساء إلى نفسه ، وأساء إلى علمه ، وأساء إلى جامعته ، وما كان له أن يطفر إلى مثل هذا الموضوع في أول نشأته .

عبد المتعال الصعيدي

وقد لحق الأهلين بعض الأضرار بسبب إقامة السد لأن منطقة النوبة ، ارتفعت فيها المياه فأتلفت الأراضي المنخفضة ، وأغرقت المنازل التي على الشاطىء مباشرة . فعوضتهم الحكومة عن هذا كله ، وبلغت تكاليف إقامة السد ، بما في ذلك التعويضات التي أعفيت الأهلين مليونين وأربعمائة وأربعين ألف جنيه كما أثبت ذلك أحمد خيري بك في مقال له بمجلة الصناعة ...

وبعد مضي زمن قصير ، تآكلت بعض الأجزاء خلف الخزان ، بفعل المياه ، فأنشيء له فرش خلق سنة خمس وتسعمائة وألف ثم سنة ست وتسعمائة وألف كذلك ، وبلغت تكاليف ذلك مائتين وثلاثة وثمانين ألف جنيه . . ! !

وبهذا أصبح السد قوي الدعائم ، وطيد الأركان ، وظل يؤدي رسالته في البلاد نماء ، وخصباً ، ويبعث فيها الحياة والنضرة والنعيم ، ويفيض عليها الخير والبركة ، إذ استفادت البلاد من كمية المخزونة عظيم الفائدة ، وانتفعت بها جليل النفع

وبعد بضعة أعوام من إنشاء السد ، رئي تعليته خمسة أمتار ، لأن تصرف النيل الطبيعي مدة الصيف ، مضافاً إليه كمية المياه المخزونة ، لا تكفي حاجة القطر الزراعية ، وبحث الموضوع من جميع نواحيه ، إذ خيف أن تضر هذه التعلية ببناء الخزان نفسه ، وفي ذلك ضرر ماحق وخطر عظيم ... وانتهى البحث إلى إمكان ذلك . دون حدوث أي ضرر أو خطر ، وتمت التعلية فعلا ، وسميت بالتعلية الأولى ...

ولا جرم أن هذه التعلية أضرت إلى حد كبير ببلاد النوبة . إذ ارتفع منسوب مياه الخزان فأغرق كثيراً من المنازل ، وجرف الأراضي المنخفضة نسبياً وأتلف ما بها من زروع ، فقامت الحكومة للمرة الثانية بتعويض الأهلين عن هذا كله ... وبلغت تكاليف التعلية ، بما في ذلك التعويضات ، مليون وخمسمائة ألف جنيه ...

وكثر عدد السكان ، وبلغ أضعافا مضاعفة بالنسبة لما كان عليه قبل إنشاء السد ، فالرخاء يعم وبركة ، ودعامة من دعائم العمران ، وزيادة النسل ... وقفزت الأرقام من سبعة ملايين ، وتسعة ملايين ... إلى خمسة عشر مليونا بعد إقامة السد بحوالي سبع وعشرين سنة ! !

ولهذا اشتدت حاجة البلاد إلى هذه الكميات المائية التي تذهب سدى ، وتضيع هباء ، فنبتت فكرة التعلية الثانية ... بيد أن هذه الفكرة لم تلق تحبيذاً على طول الخط . بل عورضت معارضة شديدة . ونقدت نقداً لاذعا ، مما دعا الحكومة للاهتمام بأقوال الناقدين ، والمحبذين على السواء . والتروي في الأمر . والاستعداد له

وليس الموضوع من السهولة بحيث يمر مر الكرام ... فأنشأت مكتباً خاصا بذلك سنة سبع وعشرين وتسعمائة وألف كان أهم ما قام به ، إعداد المشروع ، وبحثه من جميع نواحيه ، والنظر في موضوع التعويضات التي ستعطى للنوبيين بعين الرعاية والعطف لما سيلحقهم من اضرار في منازلهم ونخيلهم وأراضيهم الزراعية وجميع مرافقها ، بسبب هذه التعلية .

وأخيراً عرض المشروع على لجنة دولية مكونة من ثلاثة مهندسين عالميين : أمريكي ، وانجليزي ، وسويسري ، وقد وافقت هذه اللجنة على المشروع ، وأقرت تعلية السد تسعة أمتار ، دون إحداث ضرر ولا خلل به ! .

ووقع هذا الخبر بين أبناء البلاد موقعاً حسناً جميلا ، وأنعش كثيراً من الآمال البراقة ، والأماني الحلوة اللامعة ، فمن قريب ستحيا كثير من الأراضي البور ، بسبب هذه المياه التي سيحجزها السد ويمنع تسريحها وضياعها ، وعن قريب تبيع الحكومة كثيراً من الأراضي التي تحتاج إلى إصلاح ، بعد أن تقيم لها المشروعات اللازمة ، من ري وصرف وغير ذلك .

بيد أن هذا الخبر نفسه ، وقع من النوبيين موقعاً قاسيا ... وقوع الصاعقة ، التي تهدم قصور الأماني ، وتقوض صروح الآمال في قسوة وعنف وجبروت ... فهم يعلمون معنى التعلية ، ويفهمونه على وجهه الصحيح . ويدركون تمام الإدراك هذه الأمتار التسعة ، التي سترفع منسوب المياه أمام الخزان ، وتجعل من بلادهم مكانا للخزن ، يخرب ديارهم ، ويجلوهم عن مساكنهم ويلقي بهم في مهب الريح ، تعصف بهم عواصف الأقدار ، وتشتت شملهم دوافع الفرقة . وأهوال الفقر والحاجة والاضطراب ... !

وشرعت الحكومة في تنفيذ التعلية ، وابتدأ العمل في توفير سنة تسع وعشرين وتسعمائة وألف ، على قدم وساق ، وعناية بالغة ، حتى انتهى بصفة عامة في ديسمبر سنة ثلاث وثلاثين

وتسعمائة وألف ، بالغة تكاليف المبانى ، مليونين وستمائة وسبع وعشرين ألف جنيه ... !!

بيد أن هذه التعلية أضرت بمناطق النوبة بالغ الضرر ، بقدر ما أفادت باقى البلاد المصرية ، عظيم الفائدة . ونغمتها جليل النفع إذ اجتاحت مياه الخزن منازل الأهليين كلها ، وجرفت بيوتهم ، وأتلفت مزارعهم ، فعوضتهم الحكومة عن هذا كله ، حسب تقدير قامت به ، وقد بلغت التعويضات بسبب التعلية الثانية الأخيرة مليون وستمائة وخمسين ألف جنيه .

ورأت الحكومة أنها مضطرة لإقامة مشاريع اقتضاها ارتفاع المياه فى أيام الخزن ، وإنشاء مرافق جديدة لهذه البلاد ، ودرست كل مصلحة من المصالح واجبها فى هذا الصدد ، وقامت به على وجه ، وإن لم يكن من التمام والكمال ، فقد أرضى إلى حد بعيد أكثر المخلصين فى هذه البلاد ، الذين يعلمون حقيقة موقف الحكومة ، وما تكبدته من نفقات طائلة فى سبيل إنشاء السد ، إذ بلغت التكاليف لإنشاء محطات الرى ومبان للحكومة مائتين وثلاثة وسبعين ألف جنيه ، فإذا ضممت هذا المبلغ إلى المبالغ السابقة من يوم أن أنشىء السد كان المجموع ثمانية ملايين وسبعمائة وثلاثة وسبعين جنيهاً ، وهو مبلغ ضخم دون ريب ... !!

وأهم المشروعات التى قامت بها مصلحة الرى ، إقامة جسور واقية فى مناطق أبى سمبل لوقايه تسعمائة وخمسة أفدنة تقريباً ، وأدندان لوقاية مائتى فدان تقريباً ، وفى فرسى ، بالسودان لوقاية منطقة حوضية ، مع عمل برابخ رى وصرف ... وإقامة مضخة لرى سبعمائة فدان بمنطقة العلاقى لزرعها زراعة شتوية ... ومضخة لكل من توماس ، وعنيبة بحرى وعنيبة قبلى ، وتوشكى شرق وتوشكى غرب ، ومضخة احتياطية لهذه المناطق ، وذلك لزراعة خمسمائة فدان بكل منطقة لزراعتها زراعة نيلية فقط ، وهذه المضخات مقامة على عوامات ترسو على شاطىء النيل أمام كل منطقة ... وإقامة مضختين بالدكة على عوامة لرى خمسمائة فدان رياً مستديماً . وإقامة مضخات على ثلاث عوامات ببلانة لرى ألف وخمسمائة فدان رياً مستديماً ، وإقامة مضختين ثابتتين ببلانة كذلك لرى سبعمائة فدان رياً مستديماً ...

وقامت مصلحة المبانى بإنشاء مكاتب ومساكن بعنيبة بدلا من مبانى الحكومة التى كانت بالدر مقراً للمركز ومصالح الحكومة المختلفة ، كالمدرسة الإبتدائية ودور للمحكمة الشرعية والتلغراف والتليفون أو البريد ... الخ وأنشأت عدة مدارس أولية وكتاتيب ، ومساجد ، ونقط بوليس ... ونقلت خطوط التلغراف إلى مكانها الحالى ... وأقامت دار الحجر الصحى للمواشى بالشلال (كورنتينا) بدلا من الذى غمرته مياه التخزين

وقامت مصلحة الآثار بتدعيم وتقوية بعض الآثار التى تتأثر من مياه التخزين ...

وهكذا تمت لهذه البلاد مرافقها الأساسية ، التى بعثت الحركة والنشاط فى جميع أنحائها ، وجعلت النوبيين يهدؤون نفساً ، ويرتاحون بالا ، ويعتقدون أن الحكومة مهتمة بأمرهم ، معنية بشأنهم ، عاملة على تحسين حالهم ...

هذه هى الأدوار التى مر بها سد أسوان ، والأثر الذى أحدثه فى هذه البلاد ، إذ قلب نظام الحياة فيها رأساً على عقب . وبدلها بحياتها الأولى ، حياة الهدوء والسكون ، والاطمئنان والاستقرار ، حياة أخرى كلها الكد والجد والسعى والعناء ... وهذه الأدوار تعطيك فكرة واضحة عن قيمة هذا السد العظيم ، الذى أحال تراب القطر المصرى إلى تبر وذهب براق ، ورفع مستوى المعيشة فى البلاد ، وأنعش حياة المصريين أيما إنعاش ، وسيكون فى المستقبل القريب منبع رفاهيتها ورقيها ، عندما يتم مشروع توليد الكهربة ، وفق الله القائمين بالأمر إلى مافيه الخير والصلاح

عبد الحفيظ أبو السعود

إدارة البلديات العامة — مبانى

تقبل العطاءات بمجلس دكرنس القروى حتى ظهر يوم ١٠/١٢/١٩٤٧ عن ترميم مبانى السلخانة وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة ٣٠ مليما نظير مبلغ ٥٠٠ مليم للنسخة الواحدة خلاف أجرة البريد .

٨٣٥٦